قلب المدينة
بقلم
فيفي جابر

سطور من حياة

فيفي جابر

* مواليد محافظة الدقهلية - مدينة المنصورة سبتمبر ١٩٨٤م

* تملَّكني الشغف بالقراءة منذ بداية المرحلة الابتدائية، كنت أضع ألحانًا للأناشيد وأُلقي الشعر والزجل بالتنسيق مع مدرس الصحافة في فقرة الإذاعة المدرسية، بينما الكتابة منذ الثانية عشر وسبقها حب الموسيقى وممارسة العزف على آله الإكسيليفون، بداية كتبت الأغاني العامية، ثم مسرحية بعنوان(**صابحة بائعة اللبن**) من نوع الأدب الشعبي في سن الثالثة عشر، ونلت عنها شهادة تقدير في المرحلة الثانوية في مسابقة الإدارة التعليمية للمحافظة.

* وكانت لي عدَّة محاولات في كتابة الرواية قبل أن أتم الثامنة عشر، أنجزت منها رواية بعنوان **"لقاء المشاعر"** وتعتبر العمل الروائي الأول والأخير حتى الأن، لم يتوقف عشقي للكتابة رغم توقفي عن ممارستها فترات متقطعة طويلة امتدت أحيانًا لسنوات...

* بدأت المرحلة الاحترافية في عالم الكتابة بصدور ديوان النثر الأول إلكترونيًا عام ٢٠١٠، ثم تطرَّقت لكتابة القصص القصيرة، وكان الأمر بمثابة مفاجأة لأنني تخيلت نفسي دومًا شاعرة وروائية فقط، شاركت بكتابة القصص القصيرة في عدة أعمال جماعية وحصدت عدة جوائز تقديرية عن أعمال قصصية أخرى.

الجوائز:

* جائزة رولا حسينات مسابقة القصة النسائية المركز السابع: قصة قصيرة (**دوائر مغلقة**).

* جائزة مؤسسة لوتس للتنمية الإنسانية أدب القصة القصيرة جدًا المركز الخامس (**آوان الفرح**).

* جائزة حركة نشر الثقافية المركز السابع قصة قصيرة (**حفل توقيع**).

الأعمال المطبوعة:

* قصة قصيرة (**الشفق**) كتاب الكتاب دار الحلم للنشر.

* قصة قصيرة (**معجزة**) كتاب ألم الاشتياق دار الحلم للنشر.

* قصيدة نثرية (**فتاة القصيدة**) كتاب ماريونت دار الحلم للنشر.

* جريدة اللواء العربي قصة قصيرة (**شمس**).

* مجلة مزاج مصر، قصيدة نثرية (**لعلي سوف أحبك**).

***

* ديوان نثر إلكتروني (**أشواق وأمواج**) موقع مروة رخا.

***

* **للتواصل معي عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك:**

قلب المدينة

عند كل صباح
تنزع اللهفة فتيل جنوني
كما تنزع الشمس فتيل النهار
فيسبق جنوني كل منطق
أين أنت أيها المحتل الغائب؟
وأين أنا من حدود احتلالك؟

مضت تقطع الشارع الكبير عقب مغادرة بيتها في قلب المدينة، بعد أن قدَّمت للقطط طعامها وللورود مائها وللعصافير حبوبها..

على مهل ترتحل في حجرات عقلها تبحث عن شيء ما تود أن تُدرجه في روزنامة لقائها المنتظر بعد قليل... تسير بخطوات إيقاعها رقصة ما لا تعرف اسمها ولكنها تجيدها تمامًا في أعماق نفسها، ربَّما تبحث عن اسمها في وقت ما..هكذا قالت لنفسها.. لم تنس حقيبتها، فهي الأهم.. رتَّبت بداخلها أوراقًا بيضاء وبضعة أقلام رصاص وممحاة، تظن أنها ستنتصر اليوم أنهت الطريق الذي تحفظه عن ظهر قلب، وزَّعت سعادتها على

كل الذين مرَّت بهم، لم تنسى أحدًا من الغرباء، لعلهم منهمكون للذروة في روتينهم لدرجة ألا يلحظونها، لكنها مجبرة على أداء واجبها بالحب تجاههم.. سيحتاجونه بلا شك، لذا فليكن في أرصدتهم لوقت الحاجة...

مرَّت من فوق شريط السكة الحديدية، هنا تحديدًا في هذه البقعة كانت الحادثة التي غيَّرت حياتها.. بقى القليل الآن.. دفعت الباب الزجاجي للمقهى بحزم وعبرت الممر القصير من المدخل دون أن تعير نظرات الجالسين اهتمامًا، فلقد اعتادت الأمر الأن.. سارت بضعة خطوات حتى الطاولة الكائنة بركن المقهى.. وضعت حقيبتها بهدوء وظلَّت واقفة ترقب حركة المارة خارج المقهى عبر الواجهة الزجاجية.. نظرت في ساعتها ثم أردفت.. بقى قليلًا الآن.. جلست وراحت تعبث في أحشاء الحقيبة، بعد قليل جاءها النادل بفنجان من القهوة، تركه على مسافة حيادية من حزمة أوراقها وغادر مسرعًا دون أن ينطق بكلمة وهو يخفي تعبيرات وجهه!.. لم تلتفت نحوه وظلَّت منهمكة في الارتحال داخل أروقة مخيلتها ثم بدأت تكتب...

"بكف رقيقة دفعت الفتاة السمراء باب المقهى الزجاجي،

وطأت أقدامها الداخل تسير على مهل، عيونها تدقِّق في وجوه الجالسين تبادلهم التحيَّة، ومن خلف البار أيضًا أشار لها النادل بيده الفارغة من العمل وحيَّاها بإيمائة حميمية وهو يبلغها رسالة ما، جلست الفتاة السمراء في زاوية المقهى، وأخرجت من حقيبتها حزمة من الورق وبضعة أقلام رصاص، رغم الجو الممطر لم تتخلى عن المجيء، لم تهزم حماستها السماء الرمادية ولا كآبة صورتها، أمسكت فورًا بأحد أقلامها المبعثرين كخصلات شعرها البنية، وهي تعيد تنسيق رزمة الورق البيضاء وتهذيب أطرافها كما تعتني بأناقتها، جسدها النحيل يعلن عن أنوثة هادئة، بشرتها المائلة للسمرة تحمل وسامة فريدة، كأنها تندرج من سلالة نفرتاري.. الضوء الخافت المنبعث من المصباح الرئيس في سقف المقهى ينزلق ضوئه الأصفر على وجهها يزيدها نعومة وجاذبية، وينبثق من عينيها ببريق خاص..

تركت مراقبة زوار المقهى وأرسلت نظراتها نحو الخارج عبر الواجهة الزجاجية، تحملق في وجوه العابرين، وتنقل بصرها سريعًا إلى ساعة يدها، اكتشفت أن الوقت لازال باكرًا.. قرَّرت أن ترخي روحها وتعاود الإمساك بالقلم؛ جائها النادل بفنجان القهوة الذي اعتاد تقديمه إليها في نفس الموعد اليومي، عبَّأ رئتيه

بعطرها الفريد ونال ابتسامتها الساحرة ثم غاص راضيًا إلى عمق المقهى من جديد، كأنه أعاد شحذ طاقته التي أوشكت على النفاذ.. أمسكت بقلمها وبخار القهوة يتسرب إلى أنفها يستنفر حواسها برائحته الذكية...

"كان يا مكان، كانت فتاة.. يولد الربيع بابتسامتها، العالم يسوده السلام بسكينتها، ثرية بكنوز من الحب، لكنها لم تكن جميلة ولا رشيقة، لم تكن مثل رفيقاتها تعرف كيف تكون جميلة، أو أنيقة، كان كل أفراد عائلتها ينادونها "بدينة"..

-يا بدينة اذهبي..

- تعالي يا بدينة..

- يا بدينة..

- يا بدينة...

بكاؤها لسنوات لم يجعلهم يتخلُّون عن فظاظتهم، ولم تعرف كيف تتخلص من بدانتها، بل كانت تزداد بدانة حتى اندثرت ملامحها تمامًا تحت وطأة طبقة كثيفة من الدهون تستولي على وجنتيها.. فلمَّا بلغت الرابعة عشر، كان الغرباء ينادونها(حاجة)؛ ولطالما لم تعرف سوى البكاء حلًّا لمأساتها،

ذات يوم كانت قد توسَّلت لزميلتين لها أن ترافقهما في طريق العودة من المدرسة، وافقوها بشرط أن تتبعهم ولا تسير بالقرب منهن، فرحت بموافقتهن ولم تكترث بالشرط، دومًا كانت وحيدة في ذهابها وعودتها ويسكنها الحزن، أما في ذلك اليوم كانت تغني سرًا وترسل للكون والكائنات رسائلها المتوهجة بالحب.. بعد أن قطعت نصف المسافة تقريبًا تتبعهم بسعادة، فجأة ظهر من شارع جانبي فتيان في مثل عمرهن تقريبًا، فطنت أنهم ينتظرون عن عمد، بمجرد ظهورهما صاروا يتبعونهن، بالأحرى يتبعون زميلتيها، بطَّأت إيقاع سيرها خشية أن يراها أخيها أو أبيها أو أحدًا من المعارف أو الجيران، ويظنون أنها على علاقة بهاذين الشابين.. أصبحت بعيدة بقدر مترين تقريبًا، منحت تلك المسافة الحرية لهما في مغازلة الفتاتين واستقبال ضحكاتهن وغنجهن.. صارت هي في حالة واضحة من القلق والارتباك، وفي حين كانت غارقة في ندمها على طلبها مشاركتهن العودة، صاح أحد الفتية في وجهها وهو يتحدث للفتيات بلهجة ساخرة.

-كيف تسيرون مع هذه البدينة؟ انظروا إليها، ولمظهرها القبيح، أين هي من جمالكن؟

فطرت قلبها كلماته، وانهمرت الدموع من عينيها، بينما غرقوا جميعًا في نوبة ضحك هيستيرية، لم تظن أبدًا أن السعادة التي حظيت بها في بداية الطريق، ستتحول إلى تعاسة تامة في نهايته.

في ذلك اليوم وبعد انتهاء بكاؤها الذي استمرَّ لساعات، قرَّرت أن تحب، تحب بكل قوتها، حتى بكل بدانتها التي صارت هويتها!

في اليوم التالي عشقت ابن الجيران، كان وسيمًا وبعيدًا لدرجة ألا يلحظ أنها تبادله حبًا من طرف واحد.

ثمَّ بعد عامين ذاقت فيهما مرارة الحب وحلاوته وتعاسته وجنونه، انتهى بها الأمر لتمر بألم الفراق.. عندما علمت أن حبيبها على وشك الارتباط بابنة جيرانهم في المبنى الذي يسكن فيه.. في حين لم يدري أحد شيئًا عن عوالمها التي يحرِّكها الحب؛ لم تتوقف والدتها عن مناداتها بالبدينة، ولا أحدًا من أخوتها الذين يصغرونها، ولا جدتها ولا زوجة عمها ولا ابن خالتها ولا أبناء الجيران قصار القامة..

بعد أن وصل ألم الفراق لذروته وكاد يتلاشى، قرَّرت أن تحب من جديد، هذه المرة زميل دراستها.. بعد أن أتمَّت عامها السابع عشر، وقد حقَّقت الرقم القياسي في البدانة لدرجة أن قصار القامة الجدد يلقبونها "الجدة بطة"، كانت قد انتهت من حب مدرس اللغة العربية وتخلَّصت من ألم فراقه..

وبعد أن وصلت للعشرين وبعد مدة طويلة لم تجد فيها من تبادله حبها المنفرد، أخيرًا صادفته، كان شابًا وسيمًا كنجوم السينما، رأته على بغتة من شرفتها، مرَّ مسرعًا كالبرق، بدا كسهم منطلق في خط مستقيم من شدة سرعته، لكنها كانت دقيقة في التقاط أثره، في تلك اللحظة خالجها شعورًا لم تعرفه من قبل، كان الحب في ثوبه الناضج، ولكنها كانت بدينة للغاية، ومظهرها رث للغاية، ولا يظهر من ملامحها سوى نظرتها العاشقة!

راحت تحدق لصورتها في المرآه في يأس، وتساءلت؛ لماذا ظلَّ الجميع ينادونني بالبدينة طوال السنوات الماضية، دون أن يتقدم أحدًا منهم بالمساعدة لأتخلص من بدانتي؟

تذكَّرت الشاب الوسيم الذي عشقته منذ قليل، وقرَّرت في هذه

المره أنها ستعلن عن حبها رغم بدانتها وما تلحقه بها من هزائم!

وأخبرت ورودها وقطط الشارع والعصافير التي تهبط يوميًا لالتقاط الحبوب من فوق سور شرفتها، أصدقائها الذين يعلمون تكسرات روحها، أخبرتهم أنها ستتبع ذلك الشاب في المرة القادمة التي يعبر فيها الشارع، وستخبره أنَّها أحبَّت لأول مرة، أخبرتهم بنبرة هزيلة ورغبة مهزومة، كانت قوَّتها تتضاءل تحت وطأة حقيقتها

كانت تعرف أن مصير حبها سيكون مثل ما سبقه!

مضى شهرًا وشهرين وعامًا دون أن ترى هذا الشاب مرة أخرى، كانت تعيسة وقنوعة، تتساءل: ترى هل تزوَّج وهاجر إلى بلاد بعيدة؟، ترجو ظهوره وعدم ظهوره في آنٍ معًا!

وفي أحد الأيام، وأثناء نثرها الحبوب على سور الشرفة كعادتها؛ رأت سهمًا يشق الطريق من جديد، في زمن الفمتو ثانية وجدت نفسها خلف هذا السهم تتبعه بسرعة بالكاد تلحق به.. بينما هو يقطع الطرقات متوهجًا يشق الزحام بلا توقف، وهي تلهث لئلا تفقد أثاره من شدة سرعته، هل شعر بوجودها؟ كان يلتفت ورائه من حين لآخر وسط ذروة سيره.. جعلها ذلك

تصدق أنه يلتقط ذبذباتها الحسية، وأن كل ما يحدث الآن من جنون هو إشارة من القدر وعليها أن تتبعها..

في كل مرة كان يلتفت فيها وينظر خلفه كانت تختبئ خشية أن يراها، هي في البداية ظنَّت أنها ستكون شجاعة والآن هي تعلم أنها أكثر جبنًا مما ظنَّت تبعته حتى وصل إلى طريق تحفظه عن ظهر قلب، كان الطريق الذي سارت خلاله ذهابًا وإيابًا طيلة أعوامًا ثلاثة ريثما انتهت من دراستها الإعدادية، النقطة الفاصلة ما بين حدود المدينة الشرقية عن حدودها الغربية، خطوط السكك الحديدية، مرورًا بنفس المكان الذي شهد حادثة تحطيم كبرياء أنوثتها وقتئذ، والمفارقة التي غيَّرت حياتها منذئذ حسبما تظن!

اختبأت في عمق جدار تسترق نظراتها إليه حيث توقف، كان ينوي الدخول إلى مقهى قديم اعتادت المرور به في الزمن الماضي، أخرج هاتفه وأجرى اتصالًا، راقبت حركة شفاهه لعلَّها تستقرئها؛ المسافة الشاسعة بينهما حالت دون ذلك

المحال التجارية في ذلك الشارع ضمنت سريتها، حيث الشارع مزدحم بالناس المقبلة على الشراء أو مجرد التسكع..

بعد أقل من دقيقة ودعت وجوده من أمامها؛ دخل ذلك المقهى وخلفها للخواء يتلقفها..

أي شعور بالغربة احتلها بعد تلاشي صورته؟؛ وأي صقيع يذكرها بالوحدة التي ستؤول إليها مجددًا بعد انتهاء لحظاتها الأكثر جنونًا.. تسرَّبت شحنات الإدرينالين رويدًا رويدًا، لم يتبقى منها سوى رائحة العرق ومائه يتصبَّب في أنحاء جسدها تاركًا أثره على ثيابها.

داهمها شعورًا بالحزن تلاه خوف جثم على روحها، تقزَّمت حتى كادت تصير في حجم النملة!، تساءلت وهي تمحي بسرعة بصيص دموعها لماذا لم تُخلق نملة؟!

عادت أدراجها تلملم رقاقات روحها الجديدة وتحيلها إلى خزنتها السرية... لم تبكي كثيرًا تلك المرة، فلقد عزمت على تكرار الأمر، على أن تتم جنونها للنهاية، ستكون نهاية القصة سعيدة، تخبر نفسها أنه لن يكون حبيبًا قاسيًا، وسيكتشف حقيقة أنَّها أرق وأعذب من بدانتها، سيتمكن من إبصار الفتاة السمراء التي تخفي وسامتها طبقات من الدهون، وبالتأكيد سيعشقها في اللحظة التالية...

في صباح اليوم التالي حاولت التأنق بقدر ما وسعها؛ ثم ذهبت حيث المقهى الذي دلفه البارحة، استجمعت شجاعتها، وسحبت شهيقًا عميقًا كما لو كانت على وشك الغوص في أعماق المجهول؛ دفعت الباب الزجاجي للمقهى بحزم وعبرت الممر القصير من المدخل.. سارت بضعة خطوات حتى الطاولة الكائنة بركن المقهى.. وضعت حقيبتها بهدوء وظلَّت واقفة ترقب حركة المارة خارج المقهى عبر الواجهة الزجاجية.. نظرت في ساعتها ثم أردفت.. بقى قليل الآن.. جائها النادل على وجهه علامات الدهشة كبقية الموجودين في المكان، يسألها ما الذي تريده لعلَّها ستغادر بعد ذلك!.. لفحت أنفه رائحة عرقها الذي يتصبَّب على جبهتها ووجنتيها ويبلِّل ثيابها، ابتعد مسافة متر تقريبًا ثم سألها بلطف مصطنع: ما طلبك سيدتي؟ كانت تحمل حقيبتها المسلحة بأقلام وأوراق؛ لم تعير نظراته المتقززة انتباهًا وسحبت مقعدًا خلف الطاولة؛ جلست وهي تجيبه بسؤال خطر لها في تلك اللحظة: أليس العالم بمكان قاسي؟!

تجمَّد أمامها للحظات ثم أجابها: سآتيك بفنجان من القهوة في الحال..

وضعت الفتاة السمراء قلمها وهي كانت باقة من الورود الحمراء تلامس وجنتها وتداعب أنفها؛ رفعت رأسها وهي تبتسم لرؤية حبيبها، لم يتأخر عن موعدها كعادته، جلسا يحتسيان القهوة.. في وداعه لها كانت تعانقه بعينيها وأناملها تداعب خاتمًا في بنصر كفَّها الأيمن اعتادت تقبيله من حين لآخر"...

أنهت قصتها وهي لم تزل تراقب حركة الطارة خارج المقهى.

رسالة إلى مجهول

عزيزي المجهول تحيَّة طيِّبة..

وأمَّا بعد..

أكتب إليك هذه الرسالة اليوم بيد واثقة، يد مرَّنتها الحياة على أن الأحلام بذور المستقبل، وأننا لابد أن نغرس تلك البذور في حقول شاسعة؛ دون تردد أو خوف!

منذ لحظة الحلم الأول، بخبرتنا المحدودة وقدارتنا الضئيلة، وبجهودنا الصغيرة، علينا فقط أن نرعى أحلامنا لتنمو وتصير حصادًا.

يدي التي ارتشعت كثيرًا في معارك وصراعات ونزاعات، ألحقتني هزائم وخيبات لا حصر لها، وسقطت مرارًا في فخ اليأس جرَّاء مكائد الحياة وفقدان الأحبة وانهيار الأحلام ومطاردتها دون جدوى لتحقيقها، تلقنت درسها جيدًا وستظل تتلقى دروسًا على مدار عمرها.

الخوف من مواجهة تحديات الحياة أشبه بتكبيل أرواحنا بقيود وهمية، واختيار الموانئ الآمنة دومًا والبقاء على الحياد هو بمثابة العيش داخل سجن اختياري..

ستذرف الدموع، ستفقد أصدقاء مزيَّفون، وأحباء غير مخلصين، ومقربين يتربصوا بسعادتكِ، ستخور قواكِ وتستنزف روحك مرارًا، ستنهب الحياة وجدانك وستسقط صريع أفكارك المثالية حول العالم وإيمانك بعبقرية الأشياء.

لكنك ستولد في كل مرة من رمادك؛ ستنضج ويصبح لك جناحان سريان لتُحلق في كل مرة بثقة أكبر، أنت صانع قصتك وبطلها، إذا جئت إلى هذا العالم فلمجيئك سبب، لا تتوقف عن البحث ولا التجربة، سعيك هو سر سعادتك لاحقًا، كذلك ستكون غنيًا بالصبر والحكمة، لا تخشى الألم، فهو مصنع القوة.

الحياة ليست الباحة الخلفية لمنزل يطل على البحر، وليست جحيمًا في المطلق، ستظل تدهشك بأفعوانيتها وتهديك أفراحًا من حين لأخر، اعطي للفرح حقه، ولا يخدعك سلامها المؤقت.

لا تتوقف عن رعاية أحلامك.

محبتي الأبدية

المُخلصة

فيفي جابر